أثر المشرق الحضاري على الأندلس
في القرنين الثاني والثالث للهجرة

إعداد
د/ مصطفى السيد عبد العال رزق

أثر المشرق الحضاري على الأندلس

في القرنين الثاني والثالث للهجرة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الأمي الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد

فقد تناولت في هذا البحث أثر المشرق الحضاري على بلاد الأندلس خلال القرنين الثاني و الثالث الهجري كي يتضح مدى تدفق التراث العربي والحضارة العربية إلى الغرب ، وقد اتبعت ما يلي :

بداية أوضحت كيف تم الفتح العربي الإسلامي للأندلس ، ثم قسمت البحث إلى عدة فصول ، تناولت في الفصل الأول التأثير الحضاري الشامي على الأندلس في المجالات الدينية والزراعية والأدبية ، وأوضحت في الفصل الثاني التأثير الحجازي على الأندلس في مجالات العلوم الدينية على وجه الخصوص ، ونظر للدور الحضاري البارز للعراق خلال القرنين الثاني والثالث الهجري فقد أسهبت في توضيح التأثير الحضاري العراقي على الأندلس وذلك في الفصل الثالث في المجالات المتنوعة ، كما بينت أهم مراكز الاتصال بين العراق والأندلس ، وتوصلت من خلال ذلك إلى أن بلاد الشام والحجاز والعراق لهم تأثير حضاري قوى على بلاد الأندلس ، إلا أن العراق الحضاري كان له أثر قوى على الأندلس في شتى مجالات الحياة.

الفتح العربي الإسلامي للأندلس سنة ٩٢ هـ / ٧١١ م .

قد تم فتحها عام ٩٥ هـ، واصطلح بعض المؤرخين على تقسيم الفتح العربي في بلاد الأندلس إلى العهود التالية:

١- عصر الدولة الأموية، وهذا العصر ينقسم إلى قسمين:

أ- عصر الإمارات الأموية ١٣٨ – ٣١٦هـ

ب- عصر الخلافة الأندلسية ٣١٦ – ٤٣٢ هـ .

وفي ظلال هذين العصرين أصبحت الأندلس مستقلة سياسياً وروحياً عن الخلافة العباسية بالمشرق، وحكمتها أسرة عبد الرحمن الداخل الأموي .

٢- عصر الأمراء الطوائف من سنة ٤٢٢ - ٤٧٩ هـ ويبدأ بإلغاء الخلافة الأموية بالأندلس، وبذلك نقول: إن الدولة في الأندلس قد تفككت إلى عدة إمارات ضعيفة متناثرة.

٣- عصر السيطرة المغربية ٤٧٩ - ٦١٢هـ، وفيه تحولت الأندلس إلى ولاية تابعة للمغرب في عصر دولة المرابطين ١٨٠٦ - ١١٤٥م، وفي عصر دولة الموحدين ١١٤٥ - ١٢٢٣م .

٤- عصر مملكة غرناطة ٦٢٠ - ٨٩٧هـ / ١٢٢٣- ١٤٩٢م وهو عصر دولة بنى الأحمر، ويمثل سقوطها نهاية الحكم العربي بالأندلس وذهاب سلطان المسلمين السياسى بها "[1].

وإذا كانت الأندلس قد تطلعت وطمحت في الاستقلال السياسي عن الشرق، منذ بداية قيامها. فإنها لم تستطع أن تفلت من الخضوع له في المجال الحضاري، فكانت على بعدها عنه، قطعت منه، قبل أن تكون قطعة من أوربا، ولم يمنعها بعدها عن قلب العالم الإسلامي من أن يدفق عليها التراث العربي من المشرق في شتى العصور [2].

وسوف أتحدث في هذا البحث عن التأثير الحضاري في المشرق على الأندلس .

إن التأثير الحضاري على الأندلس مر عدة مراحل تاريخية معينة، وقد رافق كل عصر من عصور الأندلس تأثير مشرقي معين .

فالقرن الثانى للهجرة ١٤١ - ٢٠٠ هـ، والثالث للهجرة ٢٠١ - ٣٠٠ هـ فهما يوافقان عصر الولاة في الأندلس ٩٥ - ١٣٨ هـ، وعصر الإمارة الأندلسية ١٣٨ - ٣١٦هـ .

وتجد في عصر الولاة وبداية عصر الإمارة كان التأثير الشامي الحضاري كبيراً وفياضاً على الأندلس بكل مجالاته وتبعه أيضاً العراقى الحضارى على الأندلس .

وقد يزعم البعض ويقول: إن التأثير الحضاري العراق لم ير الأندلس إلا في فترة الازدهار من عصر الخلافة بل الواقع أن هذا التأثير قد دخل الأندلس قبل هذه الفترة .

وبالتداخل مع التأثيرات الحجازية والشامية إلا أن تأثيره الكبير والواسع ظهر وبرز في عهد الازدهار وما بعدها .

(1) أحمد مختار العبادى: فى التاريخ العباسى بالأندلس بيروت سنة ١٩٧٢م ص ٢٨٥ - ٢٨٧، عبد الرحمن حجى: التاريخ الأندلسى دمشق سنة ١٩٧٦م ص ٣٩، ٤٠ .

(2) لطفى عبد الديع: الإسلام فى أسبانيا ط ١٩٦٩ م ص ٣٩.

الفصل الأول

التأثير الحضاري الشامي على الأندلس :

نقول: إن الحضارة الأندلسية لم تنشأ فجأة، بل مرت بعدة أدوار متعددة، وخضعت لمؤثرات حضارية مشرقية تربطها بالوطن الإسلامي الأم باعتبارها جزءاً منه، كما خضعت لمؤثرات حضارية محلية بحكم البيئة التى نشأت فيها[٣].

إن تاريخ الأندلس في الفترة الأولى وحتى عصر عبد الرحمن الداخل كانت الأندلس خاضعة للسيادة الأموية سواء في دمشق أو قرطبة، ولهذا كان من الطبيعي أن تتأثر الحضارة الشامية في جميع مظاهرها، وهذا ما يسمى بالتقليد الشامى .

فمن الناحية الدينية فإن الأندلسيين في هذه الفترة نجدهم قد اغتنموا مذهب الأوزاعى – عبد الرحمن بن يحمد الأوزاعى (٨٨ – ١٥٧) [٤] والذى كان من المجاهدين الذين رابطوا في مدينة بيروت لصد غارات العدو البيزنطى . ولهذا اهتم مذهبه – بصورة خاصة – بالتشريعات الحربية وأحكام الجهاد، وهذا الاهتمام كان يناسب وضع الأندلسيين في هذه الفترة من حياتهم القائمة على حروب الجهاد، ولهذا اعتنقوا هذا المذهب .

وقد وجدت عدة روايات مختلفة حول العالم الذى نقل مذهب الأوزاعى إلى الأندلس، فنجد فريق يقول: إن عبد الله صعصعة بن سلام الشامى الأندلس (ت ١٩٢ هـ)، وقيل القاضى الغرناطى أسد بن عبد الرحمن السبأى (ت ١٥٠هـ) [٥].

وبذلك كانت الفتيا بالأندلس على هذا المذهب في عهد الداخل وبداية عهد ابنه هشام [٦]. هذا من الناحية الدينية، أما من الناحية المعمارية: فنجد المؤثرات الشامية مقتبسة من المسجد الأموى بدمشق، وذلك عندما أمر الأمير الداخل بتجديد بناء مسجد قرطبة في سنة ١٦٩ هـ، وخير دليل على ذلك العقود المزدوجة التى تزيد من ارتفاع السقف وتجعله ارتفاعاً مناسباً مع اتساع مساحة المسجد، ويلاحظ هذا التأثي في وضع المئذنة، وفي الممر الذى يصل المسجد بقصر الإمارة وهو المعروف بالساباط، وكذلك بنى الأمير الداخل في شمال غربى قرطبة ففيه (قصرا – بيت ريفي) على سفح جبل قرطبة سماه قصر الرصافة مقلداً في ذلك جده – الخليفة هشام بن عبد الملك الذى بنى

(3) أحمد مختار العبادى: المرجع السابق ص ٣١٦.

(4) ان خلكان: وفيات الأعيان . تحقيق أحمد عباس ج ٣ بيروت ١٩٦٨م ص ٢٣٩.

(5) ابن الفرضى تاريخ علماء الأندلس القاهرة، ج ١ ص ٧٤، ابن سعيد الأندلسى: المغرب فى حلى المغرب ج ١ . تحقيق شوقى ضيف – القاهرة سنة ١٩٦٤م ص ٤٤ .

(6) الجهشادى: المقتبس القاهرة ١٩٦٦ م ص ٢٤٤ .

رصافته خارج دمشق في بادية الشام، ولم يلبث أمراء بنى أمية في الأندلس إن اخذوا يقلدون الأمير الداخل في اتخاذ القصور الريفية، ومن أمثلة ذلك القصر الذى بناه ابنه عبد الله في مدينة بلنسية وأطلق عليه اسم الرصافة[٧].

وفي المجال الزراعى: فنجد الأمير الداخل كان حريصاً على جعل قرطبة صورة من دمشق في منازلها البيضاء ذات الأحواش الداخلية المزينة بالأزهار والورود ونافروات المياه، وكان الأمير الداخل يرسل بعض رجاله إلى المشرق لجلب أشجار الفاكهة من بلاد الشام، فسمع عن أحد رجاله المدعو سفر بن عبيد الكلانى، والذى تنسب إليه أسماء بعض الفواكه التى غرسها في حياته بكورة رية وأثمرت مثل الرمال السفرى ثم اهتم بها الأمير الداخل وغرسها في منبته وانتشرت بذلك زراعتها في سائر أنحاء الأندلس [٨].

وبلغ من اهتمامه بالزراعة أنه عندما حل مذهب الإمام مالك محل مذهب الأوزاعى لم يقرر زراعة الأشجار في المساجد في الأندلس [٩].

وفي الحياة الأدبية: فنجد الأندلسيين قد اهتموا بالحياة الأدبية، ففي الشعر في الأندلس كان يحاكى شعر الفرزدق وجرير بالمشرق، ومن أبرز شعراء الأندلس في هذه الفترة الولاة والأمراء الذين حكموا الأندلس مثل أبى الخطال بن ضرار الكلبى والصميل بن حاتم صاحب الوالى يوسف الفهرى، والأمير عبد الرحمن الداخل وابنه هشام، ومن ثم الحكم بن هشام [١٠].

(7) أ حمد مختار العيادى: المرجع السابق ص ٣١٨ - ٣١٩ .

(8) ابن عذارى: البيان المغرب ج ٢ تحقيق كولان وبرفنسال روروت (تاريخ) ص ٦٠، أحمد العيادى: المرجع السابق ص ٣١٨ .

(9) الحميدى: المرجع السابق ص ٢٤٤.

(10) أحمد مختار العيادى تاريخ المغرب الأندلسى ص ٣٣٦، ٣٣٧.

الفصل الثانى

التأثير الحضارى الحجازى على الأندلس

فقد نشأ هذا التأثير الحضارى الحجازى في عهد الأمير هشام والأمير الحكم، لكن هنا سؤال يجب أن نسأله ألا وهو ما السبب الذى أدى إلى ضعف التأثير الشامى على الأندلس في هذه الفترة ؟! هو: إن سليمان وعبد إلله من أولاد عبد الرحمن الداخل قد تمردوا على أخيهم هشام، وكان سليمان بالذات وراء الحزب الشامى بالأندلس، فلما انتصر هشام على اخوته، هربوا إلى شمال إفريقية وضعف الحزب الشامى بالأندلس، فنتج عن ذلك ضعف شأن الحضارة الشامية التى سيطرت على الأندلس، وبذلك تجد الأندلسيين، بخاصة أميرهم يبحثون عن أفاق حضارية جديدة غير الشامية، فوجدوا بغيتهم في حضارة الحجاز.

أما في المجال العلوم الدينبة، فنجد المدينة المنورة مركزاً للعلوم في هذا القرن، وخاصة مع وجود مالك بن أنس عام (ت ٢٧٩ هـ) صاحب كتاب الموطأ – السهل الواضح – وبذلك ظهرت شهرة الإمام مالك في العالم الإسلامي فأقبل الأندلسيون اعتناق مذهبه في عهد الأمير هشام.

وشاع المذهب المالكى في الأندلس بعد أن استهوى أميرها هشام ومن الفقهاء رواد الأحاديث، تاركين مذهب الأوزاعى، ونجد روايات عديدة تؤيد هذا التحول إلى الإعجاب المتبادل بين مالك والأمير هشام، هذا الإعجاب الذى جسده الفقهاء الأندلسيون تلاميذ مالك، دون أن يرى أحدهما الآخر(١١). بالإضافة إلى التعاطف بين الأمير هشام ومالك الناجم من عداوة الاثنين للعباسيين، إذ ساند مالك حركة محمد النفس الزكية في المدينة عام ١٤٥ هـ ضد الخليفة العباسى المنصور، وقد أفتى مالك بجواز تحلل المسلمين ببيعة المنصور، ولذا لقى كبير عناء من العباسيين (١٢).

وإن كنا ننسى فلا ننسى دور العلماء في الأندلس الذين رحلوا إلى الحجاز ودرسوا في مدرسة الإمام مالك، فنقلوا مذهبه إلى الأندلس وكان من بينهم أبو عبيد الله زياد بن عبد الله اللخمي (ت ٢٠٤ هـ أو قبلها) والذى كان يعرف (بشبطون) الذى أدخل مذهب الإمام مالك إلى الأندلس، وأخذه عنه يحيى بن يحى الليثى عاقل الأندلس، والذى أطلق عليه هذا اللقب هو الإمام مالك، وكان يحيى لا يأخذ إلا عن مالك فقط،

(11) ابراهيم ينون: الدولة العربية فى أسبانيا . بيروت ١٩٧٨ م ص ٢٢٤ .

(12) المسعودى: مروج الذهب ج ٣ بيروت ١٩٦٦ م ص ٣٤٠، ابن الأثير: الكامل ج ٥ بيروت ١٩٦٥م ص ٥٣٢ .

وروى عنه الموطأ، وتعتبر روايته من أصح الروايات (١٣). ويليه عيسى بن دينار الفقيه المشهور، وعبد الملك بن حبيب السلمى الذى أخذ من أصحاب مالك وعاد إلى الأندلس ليدون كتابه الواضح (١٤).

إن السبب في الشبه بين طبيعة أهل المغرب، وطبيعة أهل الحجاز، من حيث البساطة والبعد عن التعقيد، كان من أسباب انتشار المذهب المالكى في المغرب الإسلامى.

ولهذا فإن عقلية أهل المغرب والأندلس كانت غلب عليها نزعة أهل الحديث، وجانبوا نزعة أهل الرأى وألقيا (مذهب أبى حنيفة) (١٥).

ولم يقف الأمر عند انتشار المذهب المالكى في الأندلس في هذه الحقبة، بل تعداه إلى انتشار قراءة أهل المدينة للقرآن الكريم، وبالذات قراءة نافع للقرآن الكريم – قارئ أهل المدينة) في الأندلس، وينسب هذا إلى ابن قيس الذى ادخل هذه القراءة على عهد الأمير الداخل، والإمام مالك قد امتدح هذه القراءة، وكذلك قلدت الأندلس الحجاز في تنقيط القرآن الكريم وتشكيله(١٦).

****

(13) ابن فرحون: الديباج المتذهب ج ٢ تحقيق محمد الأحمدى أبو النور القاهرة ١٩٧٢م ص ٣٥٢ .

(14) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ٢ ص ١٨٠، أحمد أمين: ظهر الإسلام ج ٢ القاهرة ١٩٦٢ ص ٢٨ – ٤٩ .

(15) العبادى: المرجع السابق ص ٣٢٦، ٣٣٧، أحمد أمين: المرجع السابق ج ٣ ص ٢٩ .

(16) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ١ ص ٣٤٥ .

الفصل الثانى

التأثير الحضارى العراقى على الأندلس

إن التأثير الحضارى العراقى على الأندلس، يتطلب عدة أمور يجب علينا أن نقوم بتوضيحها من حيث ازدهار الحضارة في العراق في القرنين الثانى والثالث للهجرة.

١- رغبة الخلفاء العباسيين في تفوق دولتهم العلمى، وخير دليل على ذلك تشجيعهم لحركة الترجمة، أى ترجمة كتب الأمم القديمة في الرياضيات والفلك والفلسفة والطب وغيرها إلى العربية، وقد بذلوا جهد مضنياً في هذا المجال .

فضلاً عن وجود دليل على ذلك جهد الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور وكذلك الخليفة الرشيد والمأمون وغيرهم في تشجيع الحركة العلمية، وبناء دور الحكمة -مراكز العلم-، والإنفاق على العلماء والمترجمين بدون حساب[١٧].

٢- نضوج العلوم العربية الدينية ففي هذه الحقبة شهد وضوح مناهج المفسرين للقرآن الكريم . ووضحت الطرق العلمية لتأليف كتب الحديث، ورسوخ أسس مدارس النحو والجغرافيا والتاريخ، وظهور المذاهب الفقهية هذا في مجال العلوم النقلية، أما ما عرفه المسلمين من معارف الأمم الأخرى في الرياضيات والطب والفلك وغيرها عن طريق الترجمة، فنتج عنها الإبداع العلمى العربي [١٨].

٣- الازدهار الاقتصادى في العراق إذ كانت هذه الحقبة تمتاز بالنضوج العلمى مع وفرة العلماء الأفذاذ الذين ألفوا وكتبوا بأيديهم في مختلف المجالات .

وكل هذا قد انعكس أثاره على المجتمع والحركة العلمية وخير دليل على ذلك الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور، الذى يعمل على زيادة الثروة ونماء رؤوس الأموال واتساع موارد الخراج والرخاء العام الذى تعددت موارده بين الناس.

وقد نهج ابنه المهدى الذى استبدل نظام المقاسمة بنظام المساحة وقد أشاد أبو يوسف بهذا النظام [١٩]. ولعلنا نتصور الحالة الاقتصادية المزدهرة في عهد الخليفة هارون الرشيد، وقد بلغت موارده سنويا نحو مائة ألف درهم من الفضية وعشرة آلاف دينار من الذهب [٢٠]. ولما ازداد تدخل النفوذ التركى وبدا الاهمال نتيجة لهذه السيطرة، قام بعض خلفاء هذا العصر، ومنهم الخليفة والمعتضد باصلاحات اقتصادية من أجل

---

(17) أحمد بدر: المرجع السابق ج ١ ص ١٧٣.

(18) الجهشيادى: الوزراء والكتاب . تحقيق السقا ١٩٣٨م ص ١٩٧ .

(19) أبو يوسف: الخراج القاهرة، ١٩ص٥٢ م ص ٤٩ - ٥٠ .

(20) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم د ٨ دار المعارف عصر بدون تاريخ ص ٣٤٦ .

توفير موارد الدولة وتهيئة الرخاء لعامة الشعب[٢١]. كما نمت التجارة وازدهرت في العصرين العباسى الأول والثانى بعد أن اختلط العرب بغيرهم، ومما ساعد على هذا الازدهار أيضاً بناء مدينة بغداد لجعلها عاصمة العراق ودار الخلافة العباسية .

كما كانت العراق تقع في موقع استراتيجى ويوجد بها مركز تجارى بين الجزيرة العربية والشام والهند ومصر وإيران وأسيا الوسطى، وكان للعراق هيمنة على الخليج العربي [٢٢].

وقد اسدت الدولة العباسية إلى التطور الصناعى يدا طولى فقد أقبلت على التوسع في استخراج الثروة المعدنية التى حفل بها العالم الإسلامى، وإذا أخذ ما في بغداد نموذجاً لازدهار الناحية الصناعية فنجد فيها دور الصناعة المختلفة، بين معامل صناعة الزجاج ومعامل صناعة الخزف، ومحلات الصيباغة الكثيرة التى اشتهر عمالها بالدقة والجودة[٢٣].

وتجد بغداد في العصور الاسلامية الوسطى كانت عاصمة العالم الإسلامى ومقر الخلافة العباسية، وقد سكنها عناصر مختلفة إسلامية وغير اسلامية، وبذلك أصبحت بغداد تتميز عن غيرها من المدن الأخرى في العلوم والفنون والصناعات المختلفة فنجد كتاب الأغانى وتاريخ الطبرى كلها تقدم لنا موضوعات عامة تمثل الحياة الإسلامية بمختلف مظاهرها، فهذه الصفة لم تعد مقصورة على العراق فقط بل شملت العالم الإسلامى والحياة الإسلامية، وهذه الصفة العالمية التى تميزت بها بغداد جعلتها محط أنظار العرب والمسلمين من جميع أنحاء العالم الإسلامى، كما جعلت حضارتها تطغى على جميع الحضارات الإسلامية الأخرى كالشامية والحجازية[٢٤] .

توضيح عوامل الجذب الأندلسية للحضارة العراقية:

١- رغبة الأمراء الأمويين في هذه الحقبة، وبخاصة الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٧ - ٢٣٨هـ) - في ترك سياسة الانعزال عن العراق التى سار عليها أباؤه، وأن يساير حركة الازدهار الحضارى التى اشتهرت بها بغداد ففتح أبواب الأندلس أمام التيارات الحضارية العراقية فأخذا يقلد الخلفاء العباسيين في ملابسهم ومظاهرهم، وفي الاحتجاب عن الرغبة ليكسب امارته علامات الرغبة والهيبة [٢٥]، كذلك فتح أبواب الأندلس لتجار العراقيين والبضائع العراقية كالملابس وأدوات الزينة

---

(21) حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى فى العصر العباسى دار الفكر العربى سنة ١٩٧٧م ص ١٩٢ .

(22) صلح الصالح: المرجع السابق ص ٣٩٥١٢.

(23) حسن أحمد محمود: المرجع السابق ص ١٩٦ - ١٩٧ .

(24) أحمد مختار العيادى: المرجع السابق ج ص ٦٠.

(25) أحمد بدر: المرجع السابق ج ١ ص ١١٣ - ١١٤ .

التى سرعان ما انتشرت بين أفراد المجتمع الأندلسى، وتذكر الروايات التاريخية أن هذا الأمير اشترى من أحد التجار عقدا كان للسيدة زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد بمبلغ عشرة آلاف دينار وأهداه إلى زوجته، وقد كان لهذا العقد شهرة كبيرة في العراق ويعرف بعقد الشباب[٢٦]. وقد سرق هذا العقد ضمن الأشياء الثمينة الأخرى التى نهبت في بغداد أيام الفتنة بين الأمين والمأمون .

- الرفاء في المجتمع والقصر:

لقد توفرت عدة عوامل أدت إلى ظهور بوادر الترف والغنى فيها وكان على رأس هذا الترف النشاط الزراعى وازدهاره خلال عصـــر الإمارة بالذات (١٣٨ - ٣١٦هـــ) ابتداء من اهتمام الأمير عبد الرحمن الداخل بالزراعة، ومن حبه بها قد أرسل إلى بلاد الشام وفداً لجلب أحسن البذور، واستمر هذا الاهتمام خلال عصر الإمارة، وخير دليل على ذلك قيام النشاط التجارى الواسع .

وهذا لا يقوم بدون الاعتماد على الزراعة المزدهرة .

وقد ازدهرت الصناعة أيا خلال هذا العصر، ولعلنا نستنتج من بعض الأعمال التى قام بها الأمير عبد الرحمن الأوسط، إن الصناعة - في بعض الفروع على الأقل - كانت متقدمة إلى الحد الذى سمح له أن ينشىء داراً خاصة للطراز تصنع فيها ملابس خاصة لكل مرتبة من مراتب رجالات الدولة[٢٧].

وإذا كان الأسطول الأندلسى قد نشأ في البداية كقوة عسكرية تستخدم لرد هجمات الأعداء . وضد بعض الدول الأوربية المجاورة، إلا أن ممارسة التجارة من قبل الأندلسيين قد ازدهرت خلال عصر الإمارة فكان الأندلسيون يحملون منتجات بلادهم الزراعية والصناعية إلى سواحل بلاد شمال أفريقية، ويجلبون منها العبيد السود وبعض المحاصيل الزراعية ونتيجة هذا النشاط التجارى وجدت جاليات الأندلسية بصورة مؤقتة ودائمة في مدن سواحل أفريقية، وكان من نتائج وجود هذه الجاليات أن أنشأت بعض المدن الغريبة مثل أصيلة ووهران [٢٨].

وقد أدى الازدهار الاقتصادى - وبخاصة التجارى - إلى بروز مظاهر الترف في حياة الأمراء والطبقة العليا من المجتمع الأندلسى على الأقل، ويتمثل هذا الترف في فتح أبواب الأندلس نحو أسواق العراق، هذا بالإضافة إلى مظاهر العيش الواسع للأمراء وكبار رجال الدولة، الذى وفرته الأموال التى حصل عليها أفراد المجتمع الأندلسى،

(26) العيادى: المرجع السابق ص ٣٤٠.

(27) أحمد بدر: المرجع السابق ج ١ ص ١٤٨ - ١٤٩ .

(28) البكرى: المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب تحقيق دى سلان ج ١ط الجزائر ١٨٥٧م ص ١١.

وانعكس ذلك على شراء الجوارى المشرقيات الحاذقات بالأدب وفنون الغناء كجوارى الأمير عبد الرحمن الأوسط الذى جلبهن من بغداد [٢٩].

إذن هذه الفعاليات الاقتصادية أوجدت للأندلس الامكانيات والقدرة على اقتباس عادات المجتمع العراقى الراقية في الملبس والمأكل وهذا يؤدى إلى بلوغ مجتمع من الرفاء المادى موازياً و مقارباً لمستوى المجتمع العراقى [٣٠].

اقبال أهل الأندلس على الحياة الفكرية: كانت الأندلس في عهد الولاة، وبداية عصر الإمارة لم تمكنها من تطوير الثقافة، لأن غالبية أهلها من المحاربين، ولعل في مثال الصميل بن حاتم إلا من أخذ زعمائهم مثلا واضحاً على مستواهم الفكرى، وأن ثقافاتهم اقتصرت على معارف بسيطة منها ما كان متعلقاً بادين ومنها من كان موروثاً عن المعارف البدوية [٣١]، كما لم يتوفر للفاتحين التأثر بثقافة أسبانيا القزطية، ويرجع السبب في ذلك إلى ضعفها وضيق أفقها، واقتصارها على المجال الدينى السياسى التى عاشتها الأندلس خلال عصر الولاة وأوائل عصر الإمارة. لهذا اقتصر اقتباس أهل الأندلس من الثقافة على ما هو ضرورى لتسيير أمور الحياة وفق أحكام الدين الإسلامى،.

اقتبسوه فعلاً من المشرق سواء كان من بلاد الحجاز أو من بلاد الشام، إلا أنه في فترة الازدهار خلال عصر الإمارة هيأ الاستقرار السياسى وما تبعه من نشاط اقتصادى من زيادة الاتصال مع الخارج وبخاصة مع العراق فنتج عن ذلك ظهور طبقة من الناس مكنتهم من السمو لطلب العلم، وبذلك أصبح المجتمع الأندلسى في غنى [٣٢]، وهذا الغنى جعلهم ينفقون على أنفسهم وأولادهم وتعليمهم، وبذلك تجد ذوى الهمم تحركوا لطلب العلم [٣٣]، وكان على رأس من اهتموا بالحركة العلمية الأمير عبد الرحمن الأوسط الذى كان عالماً بالشريعة والفلسفة، وقد شبه بالمأمون الخليفة العباسى في طلبه للكتب الفلسفية [٣٤]، وكذلك ابنه الأمير محمد الذى انشأ نواة مكتبة القصر، كما أنه أقطع أحد العلماء الوافدين من المشرق اقطاعا، وعنه روى الحديث، وقد ساعد الناس في مسعاهم هذا حصول تطورات ملائمة في عهدهم، منها انتقال الورق بعد

(29) أحمد بدر: المرجع السابق ج ١ ط ١٣٦ .

(30) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس . تحقيق عبد الله أنيس الطباع بيروت ١٩٥٧م ص ٦٣.

(31) أحمد بدر: المجع السابق ج ٢ ص ١٦٩ .

(32) صاعد الطليطلى: طبقات المم – القاهرة بدون تاريخ ص ٩٧.

(33) السيوطى: تاريخ الخلفاء تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٧٤ م ص ٥٢٢ .

(34) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة ج ١ نشر عزت اعطار الحسينى ط ١٩٥٦ م ص ٨ .

انتشارها في المشرق أيام الخليفة هارون الرشيد، وإقامة مراكز لصناعته في مدينة طليطلة وشاطبية [٣٥]، توضيح طرق انتقال الحضـــــارة العراقيـــة إلى الأندلس .

ومن أهم مراكز انتقال حضارة العراق إلى الأندلس هي:

١- الوفود الرسمية: على الرغم من دور هذه الوفود كان محدداً في نقل بعض مظاهر الحضارة العراقية إلى الأندلس، إلا أننا يمكن اعتبارها طيفاً لنقل هذه الحضارة .

تذكر بعض الروايات أن الأمير الحكم أو عبد الرحمن الوسط أرسل وفداً إلى العراق، وذلك من أجل دراسة الآراء العلمية المنقولة إلى العرب عن اليونان وغيرهم واستنساخها، وبعد رجوع الوفد حمل معه كتاب الحساب الهندى المعروف عند العرب باسم السندهند [٣٦]، وبذلك دخلت الأرقام الهندية الأندلسى، ومنها انتقلت إلى أوربا، ومعنى هذا أن الوفد الأندلسى، عرف هذا الكتاب واطلع عليه في العراق، لأن العرب في العصر العباسى الأول عرفوا كتاب السند في الرياضيات من الهند، وقد مر الخليفة المنصور ١٣٦ – ١٥٨ هـ بترجمته إلى العربية، فقام بهذه المهمة أبو إسحاق إبراهيم بن حبيب القزارى وعرف هذا الكتاب بالسندهند الكبير، وفي عصر الخليفة المأمون ١٩٨ – ٢١٨ هـ طلب من العالم محمد بن موسى الخوارزمى بتصحيح هذا الكتاب ففعل [٣٧].

ويذكر الخوارزمى نوعين لشكل الأرقام الهندية كان يكتبها العرب، ففي أحدهما المعروف بالأرقام الهندية، وهو الذى ساد في مشرق العام الإسلامى، بينما اندثر الشكل الآخر المعروف بالأرقام الغبارية الذى ساد في مغرب العالم الإسلامى، ومنها انتقلت إلى أوربا، وهو أصل الأرقام العربية الآن [٣٨].

٢- الرحلة في طلب العلم: قام العديد من طلاب العلم في الأندلس بالرحيل إلى العراق من أجل أن يتزودوا بالعلوم من متابعيها وقد مضى بعضهم اكثر من عشرين سنة أمثال محمد بن عبد السلام الخشنى [٣٩]، وأنفق الكثيرون من أجل شراء الكتب التى ادخلوا منها الكثير إلى الأندلس . بالإضافة إلى أن غيرهم حملوا العلم رواية في الصدور [٤٠].

---

(35) أحمد بدر: المرجع السابق ج ١ ص ١٧٦.

(36) ابن سعيد: المصدر السابق ج ١ ص ٤٥ .

(37) عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى سنة ١٩٧٨م ص ٢٢٣.

(38) هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وآخر – بيروت ١٩٦٩م ص ٨٤ .

(39) الحميدى: المرجع السابق ص ٦٨.

(40) أحمد أمين: المرجع السابق ج ١ ص ١٧٦ .

ومما يؤكد هذا الامر، أن نقوم بذكر نماذج لهؤلاء الرحالة دون الحصر منهم، يحيى بن حكم الغزال (١٥٠ - ٢٥٠هـ) ينفيه الأمير عبد الرحمن الأوسط إلى الأعراق لأنه تصدى لها لزرباب فدخل الغزل العراق بعد وفاة الشاعر أبى نواس بقليل (١٩٥ هـ) وفي بغداد درس شاعر الأندلس الشعر العراقى، وقلد أبا نواس في شعره لكى ينال الحظوة ويثير إعجاب أهل العراق [٤١]، كذلك عبد الله بن محمد بن قاسم الذى رحل إلى العراق ودرس فيه المذهب الظاهرى ونقل أصوله إلى الأندلس، وكذلك محمد بن وضاح الذى دخل علم الحديث إلى الأندلس، ومن أشهرهم الإمام أحمد بن حنبل في العراق [٤٢].

كذلك اشتهر عبد الله بن مسرة بن نجيح بالفلسفة وعلم الكلام وقام برحلته المشرقية إلى العراق، ونزل بالبصرة في أواخر عصر الإمارة مع أخيه، ثم رجع إلى الأندلس يبشر بهذه العلوم التي درسها في العراق[٤٣]، وقد ازدهرت مدرسة ابن مسرة الفلسفة في عصر الخلافة [٤٤].وكذلك دخل كتاب العروض للخليل بن أحمد الفراهيدى إلى الأندلس على يد تاجر أهداه إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط، وبدا هذا الكتاب عسير الفهم على أهل البلاط، وبعد ان اطلع عليه العالم عباس بن فرناس فسره وسهل فهمه هل الأندلس .

٥- هجرة علماء العراق إلى الأندلس، ويرجع سبب هذه الهجرة لهم، هو اضطراب المشرق وخاصة العراق سياسيا، الذى يبدأ بالنزاع بين الأمين والمأمون في نهاية العصر العباسى الأول، ومن ثم تسلط العنصر التركى على الخلافة العباسية في العصر العباسى الثانى . هذه الأمور كلها أدت إلى هجرة بعض العلماء وبعض فئات المجتمع الراقى من العراق إلى الأندلس تخلصنا من هذا الاضطهاد، فضلاً عن الحفاوة الكبيرة التى لاقاها علما المشرق في الأندلس .

كما وص هذا أحمد أمين (...علماء يضيق بهم الشرق من الفاقة فرحلون إلى الغرب، وعلماء من الغرب يعوزهم العلم فيرحلون إلى الشرق..)[٤٥]، ومن العلماء الذين رحلوا إلى الأندلس من الشرق هم، محمد بن موسى الرازى (ت ٢٧٣ هـ) وهو من مدينة الرى بالمشرق، ورأس عائلة المؤرخين المشاهير في عصر الخلافة عائلة الرازى [٤٦].

---

(41) ابن الفرضى: المصدر السابق ج ١ ص ٢١٩.

(42) المرجع السابق ص ٢١٧.

(43) الطليطلى: المصدر السابق ص ٢٨ -٢٩ .

(44) لطفى عبد البديع: المرجع السابق ص ٤٦، أحمد العيادى المرجع السابق ص ٣٤ .

(45) أحمد أمين: ظهر الإسلام ج ٣ ص ٢٥.

(46) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ص ٢٠٣.

وفي عصر الازدهار تقدمت العلوم الطبية بالأندلس، فعلموا أهلها ما وصل إليه أهل العراق في الطب، ومنهم اسحاق بن عمران العراقى الأصل الذى رحل إلى الأندلس (٤٧).

ومن رواد الحركة الطبية بالأندلس في هذا العصر أحمد بن أياس الذي ينسب إليه (يسون) وهو متألف من مائة صنف من الأعشاب، فقد كان أستاذه طبيباً عراقياً من حران هاجر إلى الأندلس في فترة الازدهار، وهذا الطبيب المشرقى هو الذى أدخل للأندلس المعجون لأوجاع الجوف، وكان حمدين أحد خمسة أطباء أخذوا العلم منه (٤٨).

كما انتقلت فئات من المجتمع العراقى الراقى إلى الأندلس ففي مجال نقل العادات فئتان، وهما فئة الجوارى ودليلناعلى ذلك بجوارى الأمير عبد الرحمن الأوسط ثم فئة المغنيين والتى على رأسهم أبو الحسن على بن نافع) الملقب بزرياب . وقد انتقل إلى الأندلس بسبب أن يتخلص من المأمون، لأن زرياب كان من أصار الخليفة الأمين، ووصل زرباب إلى الأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط عام ٢٠٦ هـ، ونقل الحياة العراقية بمظاهرها الفنية والاجتماعية وتغلبت مدرسة الموسيقية على مدرسة الحجاز الغنائية القديمة(٤٩).

توضيح أثر الحضارة العراقية على الأندلس ونتائجها :

١- انتشار بعض العلوم التى تعتبر عراقية المنشاة في الأندلس وعلى الرغم من تمسك الأندلسين بمذهب مالك – كما ذكرت سابقاً – في مرحلة التأثير الحجازى الحضارى على الأندلس (ت الامام مالك ١٧٩ هـ) إلا أنه يبدو لنا أن مذهب أبو حنيفة العراقى (ت الإمام أبو حنيفة عام ١٥٠هـ) قد طرق أبواب الأندلس في عصر الإمارة إلا أن ولاة الأمر في الأندلس أغلقوا الأبواب دون دخول هذا المذهب، إذ تذكر لنا الروايات أن فريقين من علماء الحنفية وعلماء المالكية تناظرا من مجلس الأمير هشام (١٧٢ – ١٨٠ هـ) فقال لهم من أين كان أبو حنيفة ؟ قالوا: من الكوفة، فقال: ومالك ؟ قالوا: من المدينة قال: عالم دار الهجرة يكفينا، وأمر باخراج أصحاب أبى حنيفة وقال: لا أحب أن يكون في عملى (بلدى مذهبان) (٥٠).

وإن كانت البصرة المركز الأول لنشوء المدارس النحوية نتيجة لانتشار أبواب اللحن فيها(٥١) فإن بلد الأندلس له ظروف البصرة نفسها فما يتعلق بشيوع اللحن، منها

(47) أحمد أمين: المرجع السابق ج ٣ ص ٣٢٣ .

(48) ابن الأبار: الحلة المسبوك ج ١ ص ١٢٤.

(49) العيادى: المرجع السابق ص ٣٤٢.

(50) أحمد مختار العيادى: المرجع السابق ص ٣٢٧، ٣٢٨، أحمد أمين: المرجع السابق ج ٣ ص ٢٩، ٣٠ .

(51) فتحى الدجنى: أبو الأسود الدؤلى – الكويت ١٩٧٤م ص ٤٤، ٤٥ .

اختلاط المسلمين بأهل البلاد الأصليين والزواج من الأسبانيات، ومنها تعلم العرب بلغة الرومانسى العامة، بجانب اللغة العربية، كل هذا أدى إلى وجود اللغة العامية، كانت خطراً على اللغة الفصحى، فهنا ظهرت إيجاد قواعد الأندلسيون – وقد أصبحت العراق قبلتهم الأولى في العلم – بالرحيل إليها ودراسة المنابع الصافية لعلم النحو – ومن ثم الرجوع إلى بلدهم، ومعهم ما يتوفر من كتب وروايات عن النحو.

وقد شهدت فترة الازدهار من عصر الإمارة دخول النتاج العراقى في علوم النحو واللغة، فنرى عبد الرحمن بن موسى الهراوى يدرك الأصمعى في العراق، ويأخذ منه علم النحو مباشرة وليت الأمر انتهى عند هذا الحد سلك مسلك علماء البصرة بأن دخل الأعراب وتردد في محالها وفعل ما تجمع له من رواية وشعر، وكتب في هذا المجال، لكن ما حفظه في صدره كان الشيء الكثير(٥٢)، وكذلك عبد الله بن عبد السلام الخشنى الذى قضى في العراق خمسة وعشرين عاماً فأخذ علم النحو واللغة والشعر الجاهلى من شيوخ يرويها عن طبقة مشاهير في هذا الباب كالأصمعى وأبى معمر بن المثنى ويرويه (٥٣). ومن أشهر شيوخه سهل بن محمد السجستانى والعباس بن الرياش (٥٤)..

وكذلك قام جودى بن عثمان النحوى (ت ١٩٨هـ) بلقاء الفراء وأبى جعفر الرواس أثناء رحلته للمشرق وهو أول من أدخل للاندلسيين كتاب الكسائى (٥٥)، وقد ذكرنا أعلاه دخول العلوم النقلية والمعارف الطبية العراقية إلى بلاد الأندلس .

– دور زرياب وما أحدثه في الجتمع الأندلسى

وقد ذكرت لنا عدة روايات على ما قام به زرياب في حياة المجتمع الأندلسى حتى ليبدو لنا أن زريابا حمل معه بغداد ووضعها في قرطبة، هذه التغييرات التى أوجدها زرياب تعرف باسم (مراسيم زرياب) وهى الواقع رمز لتلك الحضارة العراقية التى غمرت الأندلس أيام عبد الرحمن الأوسط ،والتى تمثل نزعة التجديد والأناقة من ذلك العصر (٥٦).

ومن هذه المراسم، فقد علم زرياب أهل الأندلس طرقاً موسيقية جديدة في كيفية ابتداء الغناء وكيفية نهايته وجعل مضراب العود من قوادم الجريد بدلاً من الخشب مما يساعد على نقاء الصوت، ثم أضاف وتراً خامساً للعود.

---

(52) أحمد بدر مرجع سابق ج ١ ص ١٨٣ .

(53) الحميدى: المصدر السابق ص ٦٨.

(54) ياقوت الحموى: معجم البلدان ج ١١ بيروت بدون تاريخ ٣٦٣ .

(55) الزبيدى: طبقات النحويين اللغويين، تحقيق أبو الفضل إبراهيم القاهرة ١٩٧٣م ص ٣٥٣، لطفى عبد البديع: المرجع السابق ص ٧٣ .

(56) أحمد مختار العبادى: المرجع السابق ص ٣٤٢، ٣٤٣.

ومن مراسيه تعليمه للأندلسيين طرق الطهى العراقى وضرورة الترتيب في تقديم الأطعمة بدلاً من وضعها دفعةً واحدة، كما علمهم طريقة تصفيف شعورهم ورفعه خلف الأذن بدلاً من تركه مسدولاً على جباههم وعيونهم، كما ميز لهم بين ملابس النساء وملابس الصيف وفي مجال الزينة استخدم مواد جديدة لطرد رائحة البدن، كما طور العادات القديمة المستخدمة لهذه الغاية في استخدام دور الورد وزهر الريحان، والتى كانت تضر الملابس، فأرشدهم على ازالتها بالملح وتبييض لونها(٥٧).

- نتائج التأثير الحضارى العراقى على الأندلس:

لا ينكر أن هذا التأثير الحضارى العراقى ساهم في تطوير المظاهر الحضارية بالأندلس، ابتداء من فترة الازدهار في عصر الخلافة، سواء فيما يتعلق بهجرة العلماء المشارقة إلى الأندلس، أو برحلة علماء الأندلس إلى المشرق، ولكن يلاحظ في بدايات التأثير الحضارى العراقى على الأندلس في عصر الإمارة، وجدت حركة معارضة من قبل أهل الأندلس لهذا التأثير وهذه الحركة تتمثل فيما يأتى:

١- حركة المعارضة التى قادها بعض العلماء ورجال البلاط . تزعم حركة المعارضة هذه بعض وزراء الأمير عبد الرحمن الأوسط والشاعر يحيى بن الحكم الغزالى ضد زرياب ومراسيمه التى أدخلها للأندلس، وضد بعض علماء الأندلس الذين تأثروا بالحضارة العراقية وأصبحوا من تلاميذها أمثال الشاعر والعالم الأندلسى المعروف عباس بن فرناس، وقد كان من حسن حظ زرياب ورجاله أن الأمير عبد الرحمن الأوسط كان يرعاهم ويظلل بحمايته عليهم، فقام هذا الأمير بالمصالحة بين زرياب وبين بعض الوزراء، كما شهر بعض رجالات البلاط أمثال تمام بن علقمة وردعهم بعدم التعرض لزرياب، وبقى الشاعر الغزالى خارج الأندلس حيث رحل إلى العراق (٥٨).

أما عباس بن فرناس الشاعر المشهور والعالم الأندلسى المعروف في عصر هذا الأمير، فقد كان من الشخصيات الأندلسية الذين هضموا الحضارة العراقية ويسروا فهمها لأهل الأندلس، فهو الذى سهل فهم كتاب العروض للخليل بن أحمد الفراهيدي عالم البصرة المشهور، حيث يروى أن الأمير ورجال بلاطه لم يفهموا هذا الكتاب أولاً، إلى أن سمع به عباس بن فرناس، فطلب من الأمير ان يأذن له بالاطلاع عليه، فلما قرأه لاحظ بذكائه أن الكتاب ناقص من أوله، فأرسل الأمير الأندلسى إلى العراق من أحضر هذا الجزء الناقص، واستطاع عباس بن فرناس بذلك أن يفهمه ويشرحه للناس، فكان و من أخذ عنه علم العروض بالأندلس، وقد منحه الأمير ثلاثمائة دينار وكساء.

(57) أحمد بدر: المرجع السابق ج ١ ص ١٦١ - ١٣٢، أحمد أمين مرجع سابق ج ٢ ص ٣٢، ٣٣.

(58) أحمد مختار العبادى: المرجع السابق ص ٣٤٣ .

كما اشتهر عاس بن فرناس بدراسة الفلك ودراسة الكيمياء التى تطورت على يديه نتيجة تجاربه الكثيرة في هذا المجال (٥٩).

وعلى الرغم من كل هذه الجهود العلمية التى قام بها فقد لقى معارضة شديدة لأن عقلية الناس آنذاك تنفر من المشتغلين بالفلك والكيمياء وتعتبر هذه العلوم نوعاً من السحر، ولهذا أتهم عالمنا هذا بالسحر والزندقة (٦٠). ورفعت عليه دعوى للقضاء، فمع القاضى شهادة الناس المعارضين له والتى تتهمه بأنه كان يعمل في بيته ليلاً بإحراق النار فتتصاعد الأبخرة، وإن المياه الملونة بالأحمر كالدم تخرج من ساقية داره، وإنه يجوب عرض الدار وطوله، ويبدو لنا أن القاضى كان متأثراً بثقافة العصر، واسع التفكير، فلم يدين العالم وبرأه من كل هذه التهم(٦١).

- حركة المعارضة التى قادها المستعمرين في قرطبة :

إذا كانت الخطوات الأولى لامتزاج المسلمون بالأسبان تتمثل في الزواج، وفي نشر الإسلام بينهم، ففي عصور تالية للفتح وبخاصة في عصر الإمارة ١٧٣ - ١٨٠ هـ اتخذ إجراءا مهما وهو جعل اللغة العربية لغة التدريس في معاهدة اليهود والنصارى بالأندلس، وكان لذلك الإجراء أثر عميق في التقريب بين أصحاب المذاهب المختلفة، وفي بث روح التفاهم والوئام بينها، وكان من أثره أن اعتنق الأسبان الإسلام بعد أن عرفوا بنقل أصوله ومعتقداته(٦٢).

وقد ازداد هذا الأمر اتساعاً في فترة الإزدهار من عصر الإمارة حيث بدأت التيارات الفكرية العراقية تهب من سماء الأندلس، وتؤثر في عقلية شعبها فتنميها، وتؤثر في ملامح مجتمعها فتطورها نحو الأفضل، فكثر الاختلاط بين عناصر المجتمع الأندلسى، فزاد وكبر حجم ظاهرة الاستغراب يالأندلس، أى إقبال الأسبان على تعلم اللغة العربية وآدابها وتقليد العرب في عاداتهم من مأكل وملبس وأمور اجتماعية أخرى - أزاء هذا الأمر - والذى كان للتيار الفكرى العراقي تأثير واضح في كل هذه المتغيرات - كان لبعض رجال الدين الأسبانى المتعصبين موقفاً معاديا لهذا التيار، أطنبت الروايات الأجنبية في ذكرها، هذا الموقف تصفه هذه الروايات بظاهرة الاستشهاد أو الانتحار الديني وقد عالجت حكومة قرطبة هذه الظاهرة بحكمة وروية وحنكة فزال خطرها بعد حين (٦٣).

---

(59) خير الدين الزركلى: الأعلام ج ٤ بيروت ١٩٧٠م ص ٣٧.

(60) الزركلى: الأعلام ج ٤ ص ٣٧ .

(61) أحمد مختار العبادى: المرجع السابق ص ٣٦٢ - ٣٦٣.

(62) محمد عبد الله عثمان: مرجع سابق ج ١ ص ٢٢٩ .

(63) إبراهيم بيضون: مرجع سابق ج ٢ ص ٣٧، ٣٨ .

انحصرت أهداف هذه الحركة التى قامت منذ عـــام ٢٣٥ هـ وإلى عام ٢٤٤ هـ، في محورين:

الأولى – محاولة إعادة بعض من أسلم حديثاً إلى دينه القديم من جديد .

والثانى الطعن بالإسلام ومبادئه وشتم النبى – صلى الله عليه وسلم- علنا في المساجد والساحات العامة، وعلى الرغم من أن الروايات الغربية أعادت أسباب هذه الحركة تحاملاً إلى فرض الضرائب الباهظة على رجال الدين أولاً، وإلى الاضطهاد الذى أوقعه الغرب على الأسبانى ثانيا [٦٤]، فإنى أميل بأن هذه الحملة التى قادها الغلاة – إذا صح خبر هذه الروايات لأن مصادرنا العربية الأندلسية لم تذكر شيئاً عنها .

نعود إلى ظاهرة التطور الحضارى العراقى، فأقبل الناس من مسلمين ونصارى بالأندلس إلى التذود من هذه الروافد الحضارية، فقل – نتيجة ذلك – الاهتمام بالحضارة اللاتينية في أسبانيا التى بدات بالعموم تدريجيا، ويدل على ذلك أن أحد علماء الأسبان المعاصرين وهو القارو القرطبى كتب وثيقة غى عام ٢٤٠ هـ يصف لنا الذعر الذى أصاب بعض الذين كانوا يحتفظون بالعاطفة المسيحية، يذكر كيف أن الشبان الأسبان يتقنون اللغة العربية بفصاحة ويقتنون مؤلفاتها ويدرسونها، في حين أنهم يجهلون آداب الكنيسة ولغتهم اللاتينية [٦٥].

وصفوة القول، إذا كانت الأندلس في عصورها الأولى مقلدة للشام والحجاز حضاريا، فإن هذا الأمر لم يكن كذلك بالنسبة للعراق، لأن الأندلس في فترة الازدهار من عصر الإمارة وبعدها استوعبت التأثير الحضارى العراقى، مثلته أحسن تمثيل، وجعلته قاعدة لبناء الشخصية الأندلسية الثقافية التى بدأت النمو والتكوين في القرن الثانى والثالث للهجرة، ومن ثم ازدهرت في عهد الخلافة الأندلسية، القرن الرابع الهجرى كما هو معروف .

****

(64) أحمد بدر: المرجع السابق ج ١ ص ١٩٤.

(65) عبد الرحمن الحجى: اندلسيات ج ٢ ص ٢٧، ٥٩.

المصادر والمراجع

١- محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزرى الملقب بعز الدين المتوفي سنة ٦٣٠هـ - الكامل الجزء الخامس - بيروت ١٩٦٥م .

٢- أحمد مختار العبادى: في التاريخ العباسى بالأندلس طبعة سنة ١٩٧٢م .

٣- إبراهيم بيضون :الدولة العربية في أسبانيا - بيروت - سنة ١٩٦٧م.

٤- البكرى: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب - ط الجزائر ١٨٥٧م.

٥- الجهشياوى / المقتبس

ط القاهرة سنة ١٩٦٦م .

٦- حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى في العصر العباسى دار الفكر العربي سنة ١٩٧٧م .

٧- ابن خلكان: وفيات الأعيان - تحقيق أحمد عباس الجزء الثالث - بيروت سنة ١٩٦٨م .

٨- خير الدين الزركلى: الأعلام - الجزء ٤ بيروت سنة ١٩٧٠م .

٩- الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق أبو الفضل إبراهيم - القاهرة - ١٩٧٣م .

١٠- السيوطى: تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٧٤م

١١- ابن سعيد الأندلسى المقرب في حلى المغرب الجزء الأول، تحقيق شوقى ضيف القاهرة سنة ١٩٦٤م .

١٢- صاعد الطلطى: طبقات الأمم - القاهرة بدون تاريخ .

١٣- الطبرى: محمد بن جرير الطبرى ت ٣١٠ هـ: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الجزء الثامن دار المعارف بدون تاريخ .

١٤- عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى سنة ١٩٧٨م.

١٥- ابن عذارى: البيان المغرب - الجزء الثاني - تحقيق كولاث ديروفنسال .

١٦- لطفي عبد البديع: الإسلام في أسبانيا ط سنة ١٩٦٩م .

١٧- المسعودى: مروج الذهب - الجزء الثالث - بيروت سنة ١٩٦٦م .

١٨- سجريدهوفكا: شمس العرب تسطع إلى الغرب ترجمة فاروق بيضون وآخر بيروت ١٩٦٩م .